

محتوى الوحدة

المحور الأول: مدخل مفاهيمي :

البلاغة - الفصاحة - البيان - المعاني - البديع

المحور الثاني: نشأة البلاغة العربية ومراحل تطورها

✓ مرحلة الإنجاز والإبداع أو ما قبل التنظير البلاغي،

✓ المراحل المبكرة في بداية التنظير والتأسيس

✓ تطور البلاغة العربية مع عبد القاهر الجرجاني،

✓ بلاغة السكاكي وبداية العناية بالتنظيم والتبويب

✓ مرحلة التلخيصات والشروح.

المحور الثالث: أساليب علوم البلاغة

➤ أساليب بيانية: التشبيه - الاستعارة - التمثيل - الكناية.

➤ أساليب من علم المعاني: الخبر والإنشاء - التقديم والتأخير - الفصل والوصل. - الحذف والذكر.....

➤ أساليب بديعية:

➤ - الجناس. السجع - الطباق - المقابلة ...

المحاضرة الأولى

مع المفاهيم

مفهوم البلاغة:

قال أبو هلال العسكري: "البلاغة من قولهم : بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، وبلغتها غيري. ومَبْلَغُ الشيء منتهاه، والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته. فسميت البلاغة بلاغة ، لأنها تُنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه." ويقال : بلغ الرجل بلاغة: إذا صار بليغا، كما يقال: نَبُلُ نبالةً : إذا صار نبيلًا، وكلام بليغ وَبْلَغُ (بالفتح) كما يقال: وجيزٌ ووجُزٌ....
ويقال أبلغتُ في الكلام إذا أتيت بالبلاغة فيه، كما تقول: أُبرِحتُ إذا أتيت بالبرحاء وهو الأمر الجسيم. قال: والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم.

ثم عرف البلاغة بأنها كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة، ومعرض حسن.

وقال : وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطًا في البلاغة لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة، ومعرضه خلقًا لم يسم بليغا، وإن كان مفهوم المعنى، مكشوف المغزى. ". فدل هذا على أن شرط البلاغة عند أبي هلال العسكري أن يكون المعنى مفهوماً واللفظ مقبولا.

وقال ابو الحسن بن عيسى الرماني: أصل البلاغة الطبع، ولها مع ذلك آلات تعين عليها وتوصل القوة فيها، وتكون ميزانا لها، وفاصلة بينها وبين غيرها. وهي ثمانية أضرب: الإيجاز، والاستعارة، والتشبيه، والبيان، والنظم، والتصرف، والمشكلة، والمثل...

وقال صاحب البرهان في وجوه البيان: وحدها عندنا (أي حد البلاغة): أنها القول المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام، وحسن النظام، وفصاحة اللسان.

وقال عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بالباحث: " البلاغة الفهم والإفهام، وكشف المعاني بالكلام، ومعرفة الإعراب، والاتساع في اللفظ، والسداد في النظم، والمعرفة بالقصد، والبيان في الأداء، وصواب الإشارة، وإيضاح الدلالة، والمعرفة بالقول، والاكتفاء بالاختصار عن الإكثار، وإمضاء العزم على حكمة الاختيار. قال: وكل هذه الأبواب محتاج بعضها إلى بعض، كحاجة بعض أعضاء البدن إلى بعض، لا غنى لفضيلة أحدها عن الآخر، فمن أحاط معرفة بهذه الخصال فقد كمل كل الكمال، ومن شذَّ عنه بعضها لم يبعد من النقص بما اجتمع فيه منها.

قال : والبلاغة تخير اللفظ في حسن إفهام"¹

بلاغة الكلام: البلاغة في الكلام مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته. فلا تتحقق البلاغة عند أرباب المعاني إلا إذا كان الكلام فصيحاً مطابقاً لما يقتضيه حال الخطاب. فمثلاً عندما يكون المخاطب منكراً للحكم فتلك حال تقتضي التأكيد للحكم. ولذلك التأكيد اعتبار مناسب وهو مقتضى الحال. ويتفاوت مقتضى الحال بحسب المقامات والأحوال، إذ المقام الذي يدعو إلى تنكير المسند إليه أو المسند يبين المقام الذي يناسبه تعريفه، أي لا يكون هناك مقام يناسب التنكير والتعريف معاً، والمقام الذي يناسب تقديمه يبين المقام الذي يناسب تأخير. ومقام ذكره يبين مقام حذفه كذلك، ومقام إطلاق الحكم يبين مقام تقييده، وكذا مقام الفصل يبين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يبين مقام الاطناب والمساواة....

بلاغة المتكلم: البلاغة في المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ، أي كيفية راسخة في النفس يقدر بها صاحبها على أن يؤلف كلاماً مطابقاً لمقتضى الحال فصيحاً في أي معنى قصده وفي أي نوع أراده.

¹ - ينظر العمدة 247\1. وقد قيلت في البلاغة أقوال كثيرة لا داعي إلى الاطناب في سردها، ومن أراد التفاصيل فليعد إلى العمدة لابن رشيح القيرواني العمدة 241\1 وما بعدها، أو إلى معجم البلاغة للدكتور بدوي طبانة الصفحة 78 وما بعدها.

مفهوم الفصاحة:

قال أبو هلال العسكري: أما الفصاحة فقد قال قوم: إنها من قولهم: أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره.... وإذا كان الأمر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلاهما، لأن غرض كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له....

وقال بعض علمائنا: الفصاحة تمام آلة البيان ...

فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين، وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان، فهي مقصورة على اللفظ... والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب، فكأنها مقصورة على المعنى.

وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى، سهل اللفظ، جيد السبك، غير مستكره فج، ومتكلف وخم...

وهناك من لا يسمى الكلام فصيحاً حتى يجمع مع هذه النعوت فخامة وشدة جزالة.

فصاحة الكلمة: فصاحة الكلمة خلوصها من الغرابة ومن التنافر ومن مخالفة القياس.

فصاحة الكلام: وتكون بخلوصه من ثلاثة أشياء:

1 - ضعف التأليف 2 - تنافر الكلمات 3 - التعقيد.

فصاحة المتكلم: وهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح.

قال صاحب معجم البلاغة العربية: "ومن تأمل ما سبق علم أن البلاغة أخص، والفصاحة أعم، وأن كل ما يطلق عليه لفظ "بليغ" كالأمر أو متكلماً يطلق عليه لفظ "الفصيح" لأن الفصاحة مأخوذة في تعريف البلاغة. وليس كل ما يطلق عليه لفظ "الفصيح"، يطلق عليه لفظ "البليغ"، لجواز أن يكون كلام فصيح غير مطابق لمقتضى الحال، أو متكلماً ذو ملكة يقتدر بها على الفصيح الغير المطابق لمقتضى الحال،

وليعلم أن البلاغة يتوقف حصولها وتحقيقها على حصول أمرين:

الأول: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المقصود، إذ ربما أدى المعنى المراد بلفظ غير مطابق لمقتضى الحال، فلا يكون بليغاً.

الثاني: تمييز الكلام الفصيح من غيره، إذ ربما أورد الكلام المطابق لمقتضى الحال غير الفصيح، لاختلال ركن من أركان فصاحة الكلام فيه، فلا يكون بليغاً.

فمست الحاجة إلى علمين يحترز بهما عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وعن التعقيد المعنوي المخل بفصاحة الكلام. والأول منهما هو "علم المعاني" والثاني "علم البيان"، ويسميان بعلمي البلاغة.

ولما كان "علم البديع" به تعرف وجوه تحسين الكلام جعل تابعا لهذين العلمين، حتى تعرف طرق التحسين الذاتي بهما، والعرضي به، فانحصر المقصود من علمي البلاغة وتوابعها في ثلاثة فنون. "معجم البلاغة العربية، الدكتور بدوي طبانة

ص 88 - 89

مفهوم البيان:

"البيان لغة: الكشف والتوضيح، والظهور،... والبيان عند البلاغيين هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بتركيب مختلفة في وضوح الدلالة على المعنى المراد، بأن تكون دلالة بعضها أجلى من بعض. ومثال إيراد المعنى بطرق مختلفة، في باب الكناية، أن يقال في وصف خالد بالكرم مثلاً: خالد كثير الرماد، وخالد مهزول الفصيل، وغير ذلك من التعابير الدالة على الكرم بلفظ غير مباشر. وفي التشبيه أن يقال هي كالشمس إشراقاً، أو كالبدن نورا وضياء،... وفي الاستعارة،

أقبلت الشمس فأضاءت البيت، أو أطلت الشمس تحمل وردا، وغير ذلك من التعابير المجازية الدالة على وصف المرأة بالإشراق والضياء.

وعلم البيان هو الذي يحتز به عن التعقيد المعنوي. وسي " علم البيان " لأنه له مزيد تعلق بالوضوح والبيان، من حيث أن علم البيان يعرف به اختلاف طرق الدلالة في الوضوح والبيان."

وكثير من البلاغيين يسمي علوم البلاغة الثلاثة – المعاني والبيان والبديع – علم البيان، لتعلقها جميعا بالبيان، وهو النطق الفصيح المعرب عما في الضمير.

وإذا رجعنا إلى الجاحظ في " البيان والتبيين "، وجدنا عنده ثلاثة تعريفات للبيان:

- أولها: " البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب عن الضمير ". وقد عد الجاحظ اللغة والإيماء والإشارة واللفظ مما يكشف عن المعنى.
- ثانيها: " دلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان ".
- " مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك البيان في ذلك الموضوع.

وبين الجاحظ نقلا عن "بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني.... أن المعاني القائمة في صدور الناس المصورة في أذهانهم مستورة خفية... لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه... وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إيها. وهذه الخصال هي التي تقرّبها من الفهم وتجلبها للعقل، وتجعل الخفي منها ظاهرا والغائب شاهدا والبعيد قريبا، وهي التي تلخص الملتبس وتحل المنعقد وتجعل المُهمل مقيدا، والمقيد مطلقا، والمجهول معروفا، والوحشي مألوفا، والغُلّ موسوما والموسوم معلوما."²

فالتواصل لا يحصل بين المتكلم والمخاطب إلا بذكر كل طرف المعاني الخفية وما هو مكنون في صدره والإخبار بذلك واستعماله وتداوله. وبعبارة أخرى فالتواصل بين الناس هو الذي يمكن من التعبير عن المعاني المكنونة في الصدور وخروجها إلى مجال التداول والاستعمال فيتحقق الفهم والإفهام.

أما ابن وهب فيقول: "البيان على أربعة أوجه. فمنه بيان الأشياء بذواتها، وإن لم تبُنْ بلغاتها؛ ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب، ومنه البيان باللسان ومنه البيان بالكتاب الذي يبلغ من بُعد وغاب."³ وهكذا جاءت أقسام البيان عنده كما يلي:

➤ الوجه الأول : الاعتبار: ويحصل بالاعتبار والتفكير في ذوات الأشياء "فالأشياء تبين للنّاظر المتوسّم، والعاقل المتبين بذراتها، وبعبّيب تركيب الله فيها، وآثار صنعته في ظاهرها، كما قال تعالى: (إن في ذلك لآياتٍ للمتوسمين) الحجر 75 . فهذا وجه بيان الأشياء بذواتها لمن اعتبرها وطلب البيان منها، فإذا حصل هذا البيان للمتفكر صار عالما بمعاني الأشياء، وكان ما يعتقد من ذلك بيانا ثانيا غير ذلك البيان "⁴.

➤ الوجه الثاني : الاعتقاد : وهذا النوع يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب.

➤ الوجه الثالث : العبارة: فأما البيان بالقول فهو العبارة، "ولما كان ما يعتقد الإنسان من هذا البيان، ويحصل في نفسه منه غير متعد له إلى غيره وكان الله – عز وجل – قد أراد أن يتمم منه فضيلة الإنسان خلق له اللسان، وأنطقه

² - البيان والتبيين 1\75.

³ - المصدر السابق 56.

⁴ - المصدر السابق 56- 58 (بتصرف)

بالبيان، فخير به عما في نفسه من الحكمة التي أفادها، والمعرفة التي اكتسبها، فصار ذلك بيانا ثالثا أوضح مما تقدمه، وأعم نفعاً لأن الإنسان يشترك فيه مع غيره، والذي قبله ينفرد به وحده.⁵

➤ الوجه الرابع : الكتاب: ويقصد به البيان بالكتابة وقد خصه المؤلف بباب بسط فيه فضله وآداب الكاتب وما ينبغي مراعاته ليكون مبيناً.⁶

وأشرف البيان عنده البيان بالعبارة والكتابة، لأنه بيان باللسان والقلم ولأن النفع بهما متعدد إلى الغير.⁷ وفي باب "العبارة" وباب "الكتاب"، أي في الوجه الثاني والوجه الثالث من أوجه البيان عند ابن وهب نجد مباحث مهمة في البلاغة والكتابة والشعر والخطابة والجدل، تناولها ابن وهب من زوايا عدة، تواصلية وحجاجية وأجناسية ونقدية وغيرها، مما جعل كتابه جامعاً بين بلاغة الشعر وبلاغة النثر وبين مباحث التخييل ومباحث الحجاج والتواصل والتداول، لذلك فالكتاب يمكن تصنيفه بدون تردد ضمن كتب البلاغة العامة.

ومما تقدم يعلم أن البيان يطلق على معنيين:

- (1) معنى أدبي واسع يشمل الإفصاح عن كل ما يختلج في النفس من المعاني والأفكار والأحاسيس والمشاعر بأساليب لها حظها الممتاز من الدقة والإصابة والوضوح والجمال. وهو بهذا التعريف يجمع فنون البلاغة الثلاثة: البيان - المعاني - البديع.
- (2) معنى علمي محدود، هو إيراد المعنى الواحد بتركييب مختلفة في وضوح الدلالة على المعنى المراد، بأن تكون دلالة بعضها أجلى من بعض، أو هو التعبير عن المعنى الواحد بطريق الحقيقة أو المجاز أو الكناية.

مفهوم المعاني

علم المعاني: وهو أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة: المعاني والبيان والبديع. وقد كانت البلاغة العربية في أول الأمر وحدة شاملة، لمباحث هذه العلوم بلا تحديد ولا تمييز، وكتب المتقدمين من علماء العربية خير شاهد على ذلك؛ ففيها تتجاوز علوم البلاغة ويختلط بعضها ببعض من غير فصل. وشيئنا فشيئاً أخذ المشتغلون بالبلاغة ينحون بها منحنى التخصص والاستقلال.

ولما جاء عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري وضع نظرية علم المعاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، ونظرية علم البيان في كتابه "أسرار البلاغة"، وكان عبد الله ابن المعتز قد وضع قبله أساس علم البديع في كتابه "البديع".

فعبد القاهر الجرجاني إذن هو واضع أصول علمي البيان والمعاني ومؤسسها في العربية، وقد جعل من مباحث كلا العلمين وحدة يمكن النظر فيها نظرة شاملة.

ولم يحدث بعده تغيير يذكر في هذين العلمين، لأنه استطاع أن يستنبط من ملاحظات البلاغيين قبله كل القواعد البلاغية فيهما، وقد فتن البلاغيون بعده فصاروا يرددون كلامه ويقفون عنده لا يتجاوزونه إلى عمق أو ابتكار، كأنما البحث في البلاغة قد انتهى بعد القاهر. فقد انحصرت جهود البلاغيين من بعده في جمع قواعد علوم البلاغة التي وضعها، وفي ترتيب أبوابها، واختصارها أو شرحها.

⁵ - البرهان 58

⁶ - المصدر السابق 254 وما بعدها.

⁷ - ينظر المصدر السابق 58-61.

فلما جاء السكاكي في القرن السابع الهجري حول البلاغة من فن إلى علم له قواعده، مما باعد بينها وبين وظيفتها الأساس، المتمثلة في إمتاع النفس وتنمية الذوق، والتمكين لذوي المواهب الأدبية من القدرة على الإبداع، وتمكين المتكلمين من وسائل التأثير والإقناع.

وقد عرف السكاكي علم المعاني بقوله: " إنه تتبع خواص تراكيب الكلم في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره." ويمكن حصر موضوعات علم المعاني التي وردت في القسم الثالث من كتاب " المفتاح"، للسكاكي على النحو التالي:

- (1) الخبر والطلب؛
- (2) الاسناد الخبري واختلافه باختلاف السامع من حيث خلو الذهن، أو الشك، أو الإنكار؛
- (3) الإسناد، وبيان أحوال المسند إليه والمسند، من حيث الحذف والذكر، والتنكير والتعريف، والتقديم والتأخير، والتخصيص والمقتضيات البلاغية لذلك؛
- (4) الفعل ومتعلقاته،
- (5) الفصل والوصل؛
- (6) الإيجاز والإطناب، وبيان كيف أنهما نسبيا؛
- (7) القصر، أنواعه، وطرقه؛
- (8) الطلب ويندرج تحته:

- مقدمة عن الطلب (الإنشاء)
- أنواع الطلب الخمسة: التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء، وأدوات كل نوع منها، ووظائفها.
- الأغراض البلاغية أو المعاني المقامية التي يخرج الطلب عن معانيه الأصلية إليها.

وظيفة علم المعاني:

إن الأثر الذي يحدثه علم المعاني في بلاغة القول يتولد من أمرين اثنين:

- بيان وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها،
 - والمعاني المستفادة من الكلام ضمنا بمعونة القرائن.
- فمباحث علم المعاني من شأنها أن تبين لنا وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أي لحال السامعين، والمواطن التي يقال فيها، كما ترينا أن القول لا يكون بليغا كيفما كانت صورته حتى يلائم المقام الذي قيل فيه، ويناسب حال السامع الذي ألقى عليه.
- كذلك من أصول علم المعاني أن يخاطب كل إنسان على قدر استعدادده في الفهم وحظه من الأدب واللغة. وتتمثل مطابقة الكلام لمقتضى الحال أيضا في الإيجاز والإطناب، فلكل مقاماته التي يقتضيها حال السامع ومواطن القول.
- أما الأمر الثاني الذي يبحث فيه علم المعاني فهو دراسة ما يستفاد من الكلام ضمنا بمعونة القرائن. فالكلام يفيد في أصل وضعه معنى نطلق عليه المعنى الحقيقي أو الأصلي، ولكنه قد يخرج أحيانا عن المعنى الذي وضع له أصلا ليؤدي إلينا معنى جديدا يفهم من السياق وتعين على تحديده عناصر المقام التخاطبي.

المحاضرة الثانية

البلاغة العربية: النشأة والتطور

أولاً: البلاغة العربية قبل عصر التنظير

١ - بلاغة المنجز العربي قبل عهد التنظير البلاغي،

إذا كان التنظير البلاغي العربي قد جاء متأخراً إلى ما بعد عصر التدوين، أو إلى عهد الجاحظ، فإن الإنجاز البلاغي العربي كان قديماً، بدأ مع بداية الإبداع الشعري والنثري، أي منذ العصر الجاهلي. وهذا الإبداع لم يكن مقتصرًا على الشعراء ولا الخطباء ولا الرجاز والكهّان، بل شمل غيرهم، فالعرب كانوا أهل بلاغة وفصاحة حتى في محادثاتهم العادية، وفي تحاورهم اليومي. وقد بدا ذلك واضحاً في تفاعلهم مع الشعراء والخطباء، وفي ملاحظاتهم العفوية، وانتقاداتهم الانطباعية، وفي موازنتهم ومفاضلاتهم بين الشعراء.

وفي صدر الإسلام، جاء القرآن الكريم، فأعجز العرب بما تضمنه من أساليب البيان والبلاغة، وأدهشهم، فزاد الإبداع والإنجاز البلاغي في تلقي هذا الخطاب وقراءته وتفسيره. وقد فتح القرآن الكريم عهداً جديداً للإبداع والإنجاز البلاغيين، وساهم في ذلك الحديث النبوي البليغ المدهش، ثم كلام الصحابة رضي الله عنهم، في تفسير الوحيين، وفي خطبهم في الدعوة والجهاد والرد على الخصوم، كما ساهم في ذلك كلام الشعراء في صدر الإسلام.

وقد تضاعف هذا الإنجاز البلاغي في العصر الأموي وفي العصر العباسي الأول مع الفرق الكلامية، والأحزاب السياسية المتصارعة التي سخرت، من ضمن ما سخرت في معاركها وخصوماتها، الشعر والخطابة والمناظرة والرسائل، فبلغت البلاغة العربية إبداعاً وإنجازاً مبلغاً كبيراً في الرقي والازدهار بفعل تلك العوامل كلها.

ب - الملاحظات الشفوية والمواقف النقدية العفوية تضمنت إشارات بلاغية.

بالإضافة إلى المنجز البلاغي الذي بدأ مبكراً في تراثنا العربي، فإن عصور هذا الإنجاز منذ العهد الجاهلي عرفت ملاحظات نقدية عفوية تضمنت إشارات بلاغية، فالتأمل في الروايات الواردة عن العصر الجاهلي في هذا المجال، والتي نجدها في كتب النقد القديمة كالموشح للمرزباني الأغاني للأصفهاني وغيرهما، يدرك قيمة هذه الملاحظات وعلاقتها بالبلاغة. بل إن المتمعن في كلام كفار ومشرقي قريش، وهم يحاولون الرد على الرسول صلى الله عليه وسلم، ووصف القرآن الكريم المعجز، ليجد ملاحظات بلاغية فيما يقولون وينشؤون ويكفي لبيان ذلك قول الوليد بن المغيرة رداً على أبي جهل لما طلب منه أن يقول في القرآن قولاً يبلغ قومه بعدما علموا بسماعه للقرآن الكريم وتأثره به، فقال قولاً منه: "وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيدهه، ولا بأشعار الجن مني. والله، ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول، حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته..."⁸

وقد كان عمر رضي الله عنه عالماً بالشعر، ناقداً له، ومن ذلك قوله في زهير بعدما عده شاعر الشعراء، "لأنه لا يعاظم في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه."⁹ وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه بليغاً مفوهاً، إذا خطب أو قال شعراً. وكذلك كان الخلفاء الأمويون والعباسيون، وتطور ذلك عندهم لما جعلوا للأدب مجالس أدبية يستمعون فيها إلى الشعراء، ويدلون بمواقفهم من الشعراء، ويوازنون ويفاضلون بينهم، ويوجهون أحياناً، وكل ذلك تضمن من الإشارات والملاحظات البلاغية ما تضمن.

⁸ - جاء هذا في حديث طويل رواه الحاكم ووافقه الذهبي.

⁹ - نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي ص 60

ج : المتكلمون المعتزلة وبداية التنظير البلاغي (صحيفة بشر بن المعتمر)،

لقد ساهمت الفرق الكلامية في تطور البلاغة العربية، لأنها كانت تتناظر فيما بينها في القضايا الكلامية بفنون المناظرة والحوار التي كانت تستثمر أساليب البلاغة الحجاجية والبيانية والبديعية. "فقد أخذ المعتزلة أنفسهم بتلقين ناشئهم كيف يفحمون خصومهم وكيف يحسنون البيان ويصوغون الكلام صياغة تستولي على قلوب السامعين وتخلب ألبابهم. وأقبلوا على دراسة كل ما خلفه العرب حتى عصرهم من ملاحظات بلاغية مختلفة، وأيضا كل ما سقط إليهم من تلك الملاحظات عن الهنود والفرس والرومان واليونان. محاولين أن يضعوا من خلال ذلك كله أصولا دقيقة للبيان العربي على نحو ما تصور ذلك صحيفة بشر بن المعتمر"¹⁰ المعتزلي (توفي سنة 210هـ).

وتعد هذه الصحيفة التي نقلها إلينا الجاحظ وأبو هلال العسكري أول أثر نقدي مدون يفصح عن صلة أهل الاعتزال بالنقد الأدبي، وطبيعة نظرتهم إليه. وكان أبو بشر شيخا من شيوخ المعتزلة، عاش الشطر الأطول من حياته في القرن الثاني الهجري، فعاشر طبقة اللغويين والنحاة من العلماء بالشعر كأبي عبيدة والأصمعي وعددا من كبار الشعراء المحدثين كأبي نواس ومسلم بن الوليد. وقد تضمنت الصحيفة توجيهات إلى الخطباء والمتكلمين للتأثير في خصومهم، ركزت على الجانب البلاغي المؤثر في الحجاج والمحاورة. وفيها يتحدث عن المتكلم وما ينبغي أن يتوفر له من حسن الاستعداد للكلام وما ينبغي أن يتوفر لكلامه من الجمال والامتناع وما ينبغي أن يسود من الملاءمة التامة بين الألفاظ والمعاني وبين الكلام وطبقات السامعين. "شوقي ضيف: 369

ثانيا: الجاحظ والتأسيس الفعلي للبلاغة،

يقول شوقي ضيف: "أكبر معتزلي عني بمسائل البيان والبلاغة الجاحظ صاحب كتاب "البيان والتبيين"، ونراه يتخذ من صحيفة بشر بن المعتمر منارة تهديه الحديث عن قواعد البيان، سواء من حيث ملاءمة الكلام لمعانيه ومن وجهة إليهم من طبقات المستمعين: متكلمين أو بدوا أو عامة، أو من حيث جمال الألفاظ ورصانتها ورشاققتها، مما جعله يطيل الكلام في مواطن الإيجاز والإطناب وفي مخارج الحروف وتنافرها في الكلمات وتنافر الكلمات نفسها، ونراه في "البيان والتبيين" يشير إلى السجع والازدواج والاقتباس والتقسيم واللغز والأسلوب الحكيم والاحتباس والهزل يراد به الجد والاعتراض والتعريض والكناية والاستعارة. ويمتلئ كتابه "الحيوان" بإشارات دقيقة إلى الحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة والمثل والكناية... وهو يعد بحق مؤسس البلاغة العربية." البلاغة تطور وتاريخ \ 369.

ثالثا: الدراسات البلاغية المبكرة:

1. كتاب "البديع" لابن المعتز، وهو من التأليفات المبكرة في علوم البلاغة، وقد أفرد له للبديع: كما يظهر من عنوانه، وكان الدافع إلى هذا الكتاب عنده، هو إثبات أن فنون البديع قديمة عند العرب، توجد في الشعر العربي القديم، وفي القرآن الكريم والحديث النبوي وفي كلام العرب. وهو بذلك يرفض رأي القائلين بأنها من ابتداء الشعراء المحدثين.
2. دراسات لبعض المتفلسفة، ككتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر، وكتاب البرهان في وجوه البيان لأبي الحسين اسحاق ابن إبراهيم بن وهب،
3. دراسات لبعض المتكلمين وعلماء الدراسات الإعجازية:

لقد ظل المتكلمون ناشطين في وضع المباحث البلاغية قصد تفسير الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وفي مقدمة مباحثهم "النكت في إعجاز القرآن للرماني"، وقد فصل القول في البلاغة وأقسامها وجعلها عشرة هي الإيجاز والتشبيه

¹⁰ - ينظر في تفاصيل ذلك شوقي ضيف

والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان. وجاء بعده الباقلاني الأشعري فنوّه بنظم القرآن العجيب، وذلك في كتابه "إعجاز القرآن"، واعتبره الذروة في البلاغة، ونفى أن يكون مدار إعجازه "البديع" أو أقسام البلاغة التي عددها الرماني. ومن المتكلمين الذين خاضوا في إعجاز القرآن القاضي عبد الجبار، أستاذ الاعتزال في عصره، الذي وقف عند فصاحة الذكر الحكيم المعجزة وردّه إلى أداء الكلام وصورته التركيبية وما يسود فيه من روابط نحوية، ذاهبا إلى أن حسن النغم وعذوبة القول لا يعدان ركنا في الفصاحة، وكذلك حسن المعنى والصور البيانية، فكل هذه أشياء تدخل في الفصاحة ولكنها لا تعد ركنا أساسيا فيها، وإنما الذي يعد أركانها الأساسية هو الأداء وخواص التركيب وما يجري فيه من نسب نحوية. وهذا ما سيبدع عبد القاهر الجرجاني في بيانه والكشف عنه.

4- دراسات نقدية على أسس بلاغية:

لقد نشطت الكتابات النقدية في القرن الرابع الهجري، وكانت تخوض في مباحث البيان والبديع، وتبدلي بنظرات فاحصة دقيقة، كما هو الحال في "عيار الشعر لابن طباطبا العلوي"، الذي عرض فيه لكثير من مباحث البلاغة كالتشبيه والتعريض والمبالغة وحسن القطع والتخلص. ويعد كتاب الموازنة للأمدي دراسة تطبيقية لبعض المباحث البلاغية كالاستعارة والمحسنات البديعية في شعر أبي تمام والبحتري، وكذلك الأمر في "كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه" لعلي بن عبد العزيز الجرجاني، الذي توسع في الحديث عن البديع وفنونه وعن الاستعارة والتشبيه في سياق دفاعه عن المتنبي.

5- دراسات لبعض المتأديين:

ومن أبرزها كتاب "الصناعتين" لأبي هلال العسكري الذي فصل القول في الإيجاز والإطناب والمساواة وفي التشبيه والسجع والإزدواج وأفرد البديع بخمسة وثلاثين بابا. وفي القرن الخامس بزغ نجم ابن رشيق القيرواني فصنف مصنفه "العمدة في صناعة الشعر ونقده"، وعرض فيه آراء البلاغيين قبله، وأدلى بملاحظاته وآرائه فيها. وقد عاصره صاحب كتاب سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي، وهو أول من جعل الفصاحة خاصة بالألفاظ مفردة ومركبة، بينما جعل البلاغة تشمل الألفاظ والمعاني جميعا، وهو أيضا أول من فصل القول في الجرس الصوتي للحروف، وأطنب في الحديث عن كثير من فنون البيان والبديع.

المحاضرة : الثالثة

ازدهار الدراسات البلاغية

رغم إسهامات البلاغيين المشار إليهم سابقا، والتي صارت ذات طابع منهجي مع بعض النقد والمتأدين، إلا أن تطور الدرس البلاغي وازدهاره إنما كان مع البلاغي الكبير عبد القاهر الجرجاني، الذي إليه يعود الفضل في وضع علي البيان والمعاني، وقد أبدع فيهما إبداعا متألعا لا يزال محط اعتراف وإعجاب الدارسين إلى الآن. فقد شكل كتابه أسرار البلاغة عمدة في علم البيان، في حين يعد كتابه دلائل الإعجاز العمدة في علم المعاني. حتى إن من جاء بعده شغل بالكتابين، وبشرحهما أو تلخيصهما.

وممن يمكن الإشارة إليهم وإلى إسهامهم في الدرس البلاغي على مستوى الممارسة والتطبيق الزمخشري من خلال تطبيقاته في الكشف، التي يمكن اعتبارها مباحث مهمة في بلاغة الخطاب، لأنها تبرز بشكل واضح وظيفة الأساليب البلاغية في تحليل الخطاب، وفي عملية القراءة والتأويل.

يقول شوقي ضيف: " وعلى أضواء مباحث عبد القاهر وقواعده التي أصلها في علي البيان والمعاني مضى الزمخشري يفسر القرآن الكريم في كتابه " الكشف" مطبقا تطبيقا دقيقا على آياته كل ما استنبطه عبد القاهر من قواعد وأصول في العلمين جميعا، إذ تَمَثَّلَ كتابيه " الدلائل" و" الأسرار" تمثلا رائعا، نافذا إلى استكمال كثير من شعب المعاني الإضافية، حتى ليتمكن أن يقال إن علم المعاني تكامل عنده بكل تفاصيله ودقائقه..." البلاغة تطور وتاريخ 373.

بلاغة السكاكي وبداية عهد التعقيد والجمود،

وقد شغل البلاغيون بعد عبد القاهر الجرجاني بكتابه الدلائل والأسرار، وكلفوا بشرحهما وتلخيصهما، وكان الإمام عبد القاهر الجرجاني أدهشهم، وبدل أن يدفعوا الدرس البلاغي إلى الأمام، إذا بهم يقفون عند حدود المنجز، فتحول الدرس البلاغي عندهم إلى نوع من التعقيد في التعريفات والتقسيمات. وقد بدا ذلك واضحا في أعمال من جاؤوا بعده، وفي مقدمتهم الفخر الرازي الذي صنف أول تلخيص لكتابه عبد القاهر: " دلائل الإعجاز" و" أسرار البلاغة"، مفيدا من كتابات الرمانى وكشاف الزمخشري. وكان شغوفًا بالحدود والتعاريف وتشعيب الأقسام، وأقحم مسائل المنطق والكلام والنحو على تلخيصه مما جعله في صورة من القواعد الجافة. وقد خلفه السكاكي في القسم الثالث من كتابه "مفتاح العلوم"، مستهديا بصنيعه، مستعينا في عمله بالمنطق وعلم الكلام والنحو... ومع ذلك فقد تمكن من وضع علي البيان والمعاني في صيغتهما النهائية. وضم إلى العلمين السابقين أبوابا تحدث فيها عن الفصاحة والبلاغة والمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية.

وأهم بلاغي قام بتلخيص المفتاح هو الخطيب القزويني، فقد صنف تلخيصا دقيقا لمباحثه البلاغية، ذلل فيه صعوباته تذليلا، مع الاستفادة من تلخيص بدر الدين بن مالك وبآراء عبد القاهر والزمخشري، لكنه رأى في هذا التلخيص إجمالا أكثر مما ينبغي فصنف كتابه " الإيضاح"، وهو من أشهر كتب البلاغة، وقد حظي التلخيص بعدة شروح أدخلت البلاغة العربية في باب الجمود والتقليد.

المحاضرة الرابعة

أساليب علم البيان

أولاً: التشبيه:

- ▶ أهميته ؛
- ▶ تعريفه ؛
- ▶ أركانه ؛
- ▶ أنواعه ؛
- ▶ بلاغته؛ ووظائفه.

أهمية التشبيه عند البلاغيين

عُني النقاد والبلاغيون العرب بالتشبيه عناية بالغة إذا قيس بالاستعارة وغيرها من الألوان البيانية. ففي التشبيه، حسب الرماني ، يتفاضل الشعراء وتظهر بلاغة البلغاء " وذلك أنه يكسب الكلام بيانا عجيبا. وهو على طبقات في الحسن ... فبلاغة التشبيه الجمع بين شيئين بمعنى يجمعهما يكسب بيانا فيهما." وهو أشرف الكلام ومظهر الفطنة والبراعة عند أبي هلال العسكري .

وأما ابن رشيقي فيعد التشبيه " أصعب أنواع الشعر، وأبعدها متعاطى، وكل يصف الشيء بمقدار ما في نفسه من ضعف أو قوة، وعجز أو قدرة، وصفة الإنسان ما رأى، تكون لا شك أصوب من صفته ما لم ير، وتشبيهه ما عاين بما عاين أفضل من تشبيهه ما أبصر بما لم يبصر."

وقد استمرت هذه النظرة التفضيلية للتشبيه عند معظم البلاغيين والنقاد المتأخرين.

فالتشبيه عند ابن الأثير " يجمع صفات ثلاثة هي : المبالغة، والبيان، والإيجاز،...إلا أنه من بين أنواع علم البيان مستوعر المذهب، وهو مقتل من مقاتل البلاغة، وسبب ذلك أن حمل الشيء بالمماثلة إما صورة و إما معنى يعز صوابه و تعسر الإيجاد فيه، وقلما أكثر منه أحد إلا عثر..."

وهكذا يتضح أن تفضيل التشبيه عند هؤلاء البلاغيين والنقاد راجع إلى ما يضيفه على الكلام من بيان وبلاغة ووضوح وإيجاز . وكذا إلى نقله المجرد والمعنوي إلى المحسوس الظاهر، ولذلك فمذهبه عندهم مستوعر وهو مقتل من مقاتل البلاغة ومظهر الفطنة والبراعة.

▶ التشبيه : تعريفه وأركانه

❖ قال الله تعالى: (وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام) الرحمن

❖ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحصى والسهر» رواه البخاري ومسلم.

❖ قال المعري مادحا:

أنت كالشمس في الضياء وإن جا \\\ وزت كيوان في علو المكان
كيوان: زحل وهو أعلى الكواكب.

❖ وقال آخر:

كأن أخلاقك في لطفها \\\ ورقة فيها نسيم الصباح

❖ وقال آخر:

كأنما الماء في صفاء \\\ وقد جرى ذائب اللجين
اللجين: الفضة.

وقال الشاعر ابن المعتز:

وكان الشمس المنيرة ديب \\\ ناز جلتته حدائد الضرب

► تعريف التشبيه:

- (1) التشبيه بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة كالکاف ومثل وكان وغيرها.
- (2) أو هو تمثيل شيء بشيء لجامع بينهما.
- (3) أو هو إلحاق شيء بشيء في صفة مشتركة بينهما.

► أركان التشبيه

من التعريفات السابقة نخلص إلى أن أركان التشبيه أربعة وهي:

- (1) المشبه: وهو الشيء المراد توضيحه أو تمثيله؛
- (2) المشبه به: وهو الشيء الذي تم به التمثيل؛
- (3) الأداة: وهي الوسيلة، وقد تكون حرفا أو فعلا أو اسما، وقد تكون مذكورة أو محذوفة.
- (4) وجه الشبه: ويقصد به الصفة أو الصفات المشتركة بين المشبه والمشبه به.

أحكام هذه الأركان:

□ أما الطرفان وهما: المشبه والمشبه به؛ فلا يجوز الاستغناء عن أي منهما، إذ لا يتم التشبيه إلا بوجودهما معا.

□ وأما الأداة ووجه الشبه؛ فيجوز حذف أحدهما أو حذفهما معا.

□ وبناء على ذلك ينقسم التشبيه إلى أنواع.

► أقسام التشبيه: المرسل – المؤكد – المفصل – المجل – البليغ.

► أنواع التشبيه

يتميز البلاغيون بين أنواع التشبيه باعتماد عدة معايير أهمها معيار التركيب والإفراد ومعيار الوضوح والخفاء.

و من أهم أنواع التشبيه:

➤ التشبيه التمثيلي ويسمى أيضا التمثيل؛

➤ التشبيه الضمني؛

ومن أمثلة التشبيه التمثيلي:

1. قال تعالى: (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما

تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا) الكهف

2. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: « مثل المؤمنین في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا

اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسر » رواه البخاري ومسلم.

► التشبيه التمثيلي

(3) وقال امرؤ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله *** عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

(4) قال الشاعر:

وكانَّ الهلالَ نونُ لجين *** غرقت في صحيفة زرقاء

(5) قال أبو فراس:

والماء يفصل بين روض الـ *** زهر في الشطآن فضلا

كَبَسَاطٍ وَشِيٍّ جَرَدَتْ *** أَيْدِي الْقُيُونِ عَلَيْهِ نَهْلاً

التشبيه الضمني

► قال أبو تمام:

لَا تَنْكُرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى *** فَالَسَيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي

➤ وقال ابن الرومي:

قَدْ يَشِيبُ الْفَتَى وَلَيْسَ عَجِيباً *** أَنْ يُرَى النَّوْرُ فِي الْقَضِيبِ الرَطِيبِ

➤ وقال المتنبي مادحاً:

فَإِنْ تَفَقَّ الْأَنَامُ وَأَنْتَ مِنْهُمْ *** فَإِنَّ الْمَسْكََ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

تعريف التشبيه الضمني:

التشبيه الضمني تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبّه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب. ويأتي هذا النوع لبيان أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن.

المحاضرة الخامسة: المجاز وأقسامه

المجاز قسمان:

✓ مجاز علاقته بالمشابهة وهو المسمى: استعارة

✓ مجاز غير مقيد بالمشابهة، أي أن له علاقات أخرى ليست بالمشابهة ويسمى مجازا مرسلا.

أولا: الاستعارة: أنواعها؛ أركانها؛ وظائفها

أهميتها عند البلاغيين العرب القدماء:

جعل المرزوقي الاستعارة قسما من أقسام الشعر فقال: "أقسام الشعر ثلاثة مثل سائر، وتشبيه نادر، واستعارة قريبة"¹¹، لكنه قيدها بالمقاربة والمناسبة، فجعل مناسبة المستعار منه للمستعار له بنود عمود الشعر عند العرب، ثم وضع ما يعنيه بالمناسبة قائلا: "وعيار الاستعارة الذهن والفتنة. وملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبه والمشبه به، ثم يُكتفى فيه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان له في الوضع إلى المستعار له."¹² وذلك ما قرره كثير من البلاغيين والنقاد فالأمدي يقول: "وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه أو يشبهه في بعض أحواله، أو كان سببا من أسبابه فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له وملأته لمعناه ..."¹³، وملاك الاستعارة عند القاضي الجرجاني "تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر."¹⁴ وتستمر هذه الشروط في النظر إلى الاستعارة عند بعض البلاغيين والنقاد في القرن الخامس، كابن رشيق، وابن سنان، والباقلاني والشريف الراضي.

لكن عبد القاهر الجرجاني له رأي آخر؛ إذ عدَّ الاستعارة أعلى مقاما من التشبيه، فهي من ناحية أكثر تحقيقا للادعاء وأكثر قدرة على إثبات المعنى المطلوب، وهي من ناحية أخرى أكثر اختصارا وإيجازا من التشبيه.¹⁵ ويخص بالذكر الاستعارة المفيدة "لأنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ... فإنك لترى بها الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبيّنة، والمعاني الخفية بادية جلية " ثم صرح بتفضيلها على التشبيه قائلا: "...وتجد التشبيهات إلى الجملة غير معجبة ما لم تكنها".¹⁶

وقال في كتابه دلائل الإعجاز: "وأما الاستعارة، فسبب ما ترى لها من المزية والفخامة، أنك إذا قلت: "رأيت أسدا"، كنت قد تلطّفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة، حتى جعلتها كالشيء الذي يجب له الثبوت والحصول، وكالأمر الذي نصب له دليل يقطع بوجوبه..."¹⁷

11 - شرح ديوان الحماسة 10/1

12 - المصدر السابق 10/1-11

13 - الموازنة ص 1 \ 234. قال ذلك بعدما عدد نماذج لاستعارات أبي تمام البعيدة.

14 - الوساطة بين المتنبي وخصومه ص: 41.

15 - أسرار البلاغة ص : 41.

16 - أسرار البلاغة ص : 41.

16 - المصدر السابق 10/1-11

16 - الموازنة ص 1 \ 234. قال ذلك بعدما عدد نماذج لاستعارات أبي تمام البعيدة.

16 - الوساطة بين المتنبي وخصومه ص: 41.

16 - أسرار البلاغة ص :

17 - دلائل الإعجاز، ت محمود محمد شاكر، ط 3 (1413 هـ \ 1992م) ص: 72

وهو يفضل الاستعارة الخفية، يقول: " اعلم أن من شأن الاستعارة، أنك كلما زدت إرادتك التشبيه إخفاءً، ازدادت الاستعارة حسناً، حتى إنك تراها أغرب ما تكون إذا كان الكلام قد أُلِفَ تأليفاً إن أردت أن تُفصِّح فيه بالتشبيه، خرجت إلى شيء تعافه النفس / ويلفظه السمع، ومثال ذلك قول ابن المعتز:

أثمرت أغصان راحته *** لجناة الحسن عُنَّاباً

انظر دلائل الإعجاز ص 450 – 451

تعريف الاستعارة:

عرفها الجاحظ بقوله: " الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه". وعرفها ابن المعتز بقوله: "هي استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها". وعرفها أبو الحسن الرماني بقوله: " الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة". ومثل لها بقول الحجاج: "إني أرى رؤوساً قد أُيِّنعت وحن قطافها". والاستعارة عند أبي هلال العسكري: "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض". أما عبد القاهر الجرجاني فقال في تعريفها: "الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية". انظر كتابه: أسرار البلاغة 22.

ويتضح من التعريفات السابقة أن الاستعارة عدول عن الأصل في استعمال اللفظ والعبارة في اللغة، أي نقلها إلى غير ما وضعت له في الأصل اللغوي. فأنت على سبيل المثال عندما تقول: رأيت قمراً يحمل محفظته داخل المدرسة. فأنت نقلت لفظة "قمراً" من أصلها اللغوي إلى استعمال جديد فأردت بها " طفلاً صغيراً جميلاً والذي حملك على ذلك هو المشابهة.

فالاستعارة ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة دائماً بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. وهي أيضاً تشبيهه حذف أحد طرفيه: أي تم فيه حذف المشبه أو المشبه به.

أركان الاستعارة:

والاستعارة تقوم على أركان هي: المستعار منه (المشبه به)، والمستعار له (المشبه)، والمستعار (اللفظ المستعار)، والعلاقة بين المستعار منه والمستعار له وهي المشابهة دائماً. والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وقد تكون لفظية أو حالية.

أنواع الاستعارة:

1) الاستعارة التصريحية:

الاستعارة كما سبق تشبيه حذف أحد طرفيه، فإن صرَّح بالمستعار منه (بالمشبه به) كانت الاستعارة تصريحية، ومثال ذلك قول الله سبحانه: (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور). ومنه قول الشاعر:

فلم أر قبلي من مثي البحر نحوه *** ولا رجلاً قامت تعانقه الأسدُ

ففي الآية الكريمة استعارة تصريحية في لفظي: "الظلمات – النور"، ويطلق عليهما: المستعار منه، بينما تم حذف المستعار له (الضلال – الهدى والإيمان)، فالله عز وجل ولي الذين آمنوا أي ناصرهم ومعينهم، ومن دلائل تلك الولاية أنه سبحانه ينقذهم من ظلمات الضلال والجهل إلى نور الإيمان والهداية والعلم، بفضل كتابه المبين وبسنة رسوله المبلغ الهادي إلى صراطه المستقيم.

وفي البيت الشعري مدح للممدوح بأنه بحرٌ في الجود والكرم، أسدٌ في الشجاعة، لكن الشاعر اختار الاستعارة التصريحية لتحقيق هذا المدح فصَّح بالمستعار منه (البحر والأسد) وحذف المستعار له (الممدوح).

(2) الاستعارة المكنية: وإن حُذِفَ المستعار منه (المشبه به)، كانت الاستعارة مكنية، كقول الشاعر:

المجدُ عوفي إذ عوفيت والكرمُ *** وزالَ عنك إلى أعدائك الألمُ

فقد استعار وصف المعافاة من الإنسان (وهو المستعار منه) إلى المجد (المستعار له)، لكنه حذف المستعار منه ولم يصريح به وأبقى على ما يدل عليه (عوفي)، بينما ذكر المستعار له (المجد)، فهي استعارة مكنية. ويمكن توضيح ذلك بالجدول الآتي:

المثال	المستعار منه	المستعار له	العلاقة	نوع الاستعارة
قال سبحانه: (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور)	.الظلمات .النور	محذوف	المشابهة	تصريحية
وقال تعالى: (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور)	=====	=====	=====	=====
قال الشاعر: فلم ار قبلي من مشى البحر نحوه === ولا رجلا قامت تعانقه الأسد	.البحر .الأسد	محذوف (وهو الممدوح)	المشابهة	تصريحية
<u>المجد عوفي إذ عوفيت والكرم === وزال عنك إلى أعدائك الألم</u>	محذوف (الإنسان)	.المجد والكرم	المشابهة	مكنية

نخلص مما سبق إلى أن الاستعارة أسلوب بياني يقوم على استعمال الألفاظ والعبارات استعمالاً مجازياً، إذ ينقلها من وضعها الأصلي في اللغة إلى وضع جديد، أي يعدل بها عن المعهود، فهي نوع من العدول والانزياح. والاستعارة محكومة بعلاقة المشابهة، فهي تشبيه حذِفَ أحد طرفيه. والاستعارة مجاز علاقته المشابهة. والاستعارة قد تأتي بسيطة غير مركبة، وقد تأتي مركبة فتسمى حينئذٍ: استعارة تمثيلية. وتؤدي الاستعارة عدة وظائف في الكلام. فهي تحقق الإيجاز والبيان والمبالغة، كما أنها تؤدي وظائف تعبيرية وتأثيرية وحجاجية وجمالية إبداعية. ولتوضيح ذلك نتأمل النماذج التطبيقية الآتية:

نماذج تطبيقية (تم توضيحها في منصة الكلية)

النص الأول:

قال أحمد شوقي في قصيدة يتذكر أياما قضاها في المدينة اللبنانية ذات الطبيعة الرائعة (رحلة) :

رَحْلَةٌ

وَلَمَّتْ مِنْ طُرُقِ الْمَلَحِ شِبَاكِ	شَيَّعْتُ أَحْلَامِي بِقَلْبٍ بَاكِ
أَمْشِي مَكَاتَهُمَا عَلَى الْأَشْوَكِ	وَرَجَعْتُ أَذْرَاجَ الشَّبَابِ وَوَرَدَهُ
لَمَّا تَلَقَّتْ جَهَنَّمُ الْمُتَبَاكِ	وَبِجَانِي وَادٍ كَأَنَّ خُفُوفَهُ
فَإِذَا أَهْيَبَ بِهِ فَلَيْسَ بِشَاكِ...	شَاكِ السِّلَاحِ إِذَا خَلَا بِضُلُوعِهِ
لِفُتُوَّةٍ أَوْ فَضْلَةٍ لِعِرَاكِ	لَمْ تَبْقَ مِنِّي يَا فُؤَادُ بَقِيَّةُ
وَنَشُدُّ شَدَّ الْعُصْبَةِ الْفُتَّاكِ	كُنَّا إِذَا صَفَّقَتْ، نَسْتَبِقُ الْهَوَى
مَا يَبْعَثُ النَاقُوسُ فِي النَّسَاكِ	وَالْيَوْمَ تَبَعْتُ فِي حِينِ تَهْرُجِي
مَا يُشْبِهُ الْأَحْلَامَ مِنْ ذِكْرَاكِ	يَا جَارَةَ الْوَادِي طَرِيتُ وَعَادَنِي
وَالذِّكْرِيَّاتُ صَدَى السِّنِينَ الْحَاكِ	مَثَلْتُ فِي الذِّكْرِ هَوَاكِ وَفِي الْكَرَى
غَنَاءُ كُنْتُ حَيَالَهَا الْفَاكِ	وَلَقَدْ مَرَزْتُ عَلَى الرِّيَاضِ بَرَبُوءَ
وَوَجَدْتُ فِي أَنْفَاسِهَا رَيَّاكِ	ضَحِكْتُ إِلَى وُجُوهِهَا وَعَيُونِهَا
حَتَّى تَرَفَّقَ سَاعِدِي فَطَوَاكِ	لَمْ أَدْرِ مَا طِيبُ الْعِنَاقِ عَلَى الْهَوَى
وَاحْمَرَّ مِنْ خَفَرِهِمَا خَدَاكِ	وَتَأَوَّدْتُ أَغْطَافُ بَانِكِ فِي يَدِي
وَلَثَمْتُ كَالصُبْحِ الْمُتَوَرِّفَاكِ ...	وَدَخَلْتُ فِي لَيْلَيْنِ فَرَعْلِكَ وَالْدُجَى
عَيْنِي فِي لُغَةِ الْهَوَى عَيْنَاكِ ...	وَتَعَطَّلْتُ لُغَةَ الْكَلَامِ وَخَاطَبْتُ
جُمِعَ الزَّمَانُ فَكَانَ يَوْمَ رِضَاكِ	لَا أُمْسٍ مِنْ عُمْرِ الزَّمَانِ وَلَا غَدٌ

المطلوب:

- ادرس هذه القصيدة دراسة بلاغية، تركز فيها على ما يلي:
- أثر الاستعارة في دلالة القصيدة وفي التعبير عن موقف الشاعر؛
 - أثر الصور الشعرية في إغناء الجانب الفني والتخييلي للقصيدة؛
 - أهمية الاستعارة في نقل أحاسيس الشاعر وجمالية المكان وفي التأثير على التلقي.

النص الثاني قال الشاعر المغربي عبد الرفيق جواهري في قصيدة عنوانها "من يستطيع الابتسام"

من يستطيعُ الابتسامُ

أَسْأَلُكُمْ..

من يستطيعُ الابتسامُ

من كل قلبه

بلا ندمٍ ؟

من يستطيع فتحَ بابِ قلبه

يطلقُ من أعماقه

عصفورةً بيضاءَ

ونجمةً من ماء ؟

لا تنظروا إليَّ هكذا

الدمعُ في عيونكم

والحُزنُ في قلوبكم

وفي شفاهكم خريفُ

(...)

يا أهلَ هذه المدينة التي لا تبتسمُ

تلبسُ بأسها

تشربُ حزنها ...

من يستطيعُ الابتسامُ

في هذه الشوارع التي بكثُ

وحدي أسير باحثاً عن قمرٍ صغيرٍ

عن بسمَةِ تضيء هذه القبورُ

تَعَبْتُ غَيْرَ أَنَّنِي

لن أقطعَ المسيرَ

سأبتسمُ

في هذه الشوارع التي لا تبتسمُ

سأبتسمُ

أسيرُ باسمًا

وباحثاً عن بسمَةِ تشاطرُ ابتسامتي

لؤنَ الفرخِ.

من قصيدة "من يستطيع الابتسام" للشاعر المغربي عبد الرفيق جواهري، ديوان "شيء كالظل"، مطبعة تينمل للطباعة

والنشر، الطبعة الأولى (1994) ص: 88 إلى 91 (بتصرف)

المطلوب: بين كيف ساهمت الاستعارة في نقل تجربة الشاعر الشعرية وفي التعبير عن موقفه من المدينة من خلال

الوقوف على نماذج من استعارات القصيدة وتحليلها.

الكناية

- ▶ الكناية في اللغة مصدر كنيت بكذا عن كذا، إذا تركت التصريح به.
- ▶ والكناية في اصطلاح أهل البلاغة: لفظ أُطْلِقَ وأريدَ به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى.
- ▶ قال عبد القاهر الجرجاني: « الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومي إليه ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم: «طويل النجاد»، يريدون طويل القامة...» دلائل الإعجاز 66
- ▶ وقال في بلاغتها: « قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح والتعريض أوقع من التصريح، وأن للاستعارة مزية وفضلا، وأن المجاز أبدا أبلغ من الحقيقة...»
- ▶ شواهد في الكناية:
- ▶ من القرآن الكريم: قال تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا). الإسراء 29
- ▶ (ويوم يعض الظالم على يديه)
- ▶ (وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) الكهف 42
- ▶ (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) الزمر 67
- ▶ (الرحمن على العرش استوى) طه 5 كناية عن تمام القدرة ، وقوة التمكن والاستلاء.
- ▶ وفي الحديث النبوي :
- ▶ قال الرسول صلى الله عليه وسلم:
- ▶ « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» ففيه تعريض عن نفي صفة الإسلام عن المؤذي،
- ▶ في الشعر العربي: قال الشاعر في البرامكة:
- سألت الندى والجودَ : ما لي أراكما *** تبدلتما ذلا بعزٍّ مؤبِّدٍ
- وما بال ركن المجد أمسى مهذبا ؟ *** فقال أصبنا بآبن يحيى محمدٍ
- فقلت : فهلاً مَتُّما عند موته *** فقد كنتما عبْدَيْه في كل مشهَدٍ
- فقالا: أقمنا كي نعرِّى بفقدِه *** مسافة يومٍ ، ثم نتلوه في غدٍ
- ❖ قال المتنبي:
- ❖ فمساهم وبسطهمو حريزُ \\\ وصبحهم وبسطهمو ترابُ
- ▶ قال الشاعر:
- ▶ بنى المجدُ بيتا فاستقرت عماده \\\ علينا، فأعيا الناسَ أن يتحولا
- ▶ وقال أبو نواس
- فما جازه جودٌ ولا حل دونهُ *** ولكن يسير المجد حيثُ يسيرُ
- وقال: إن السماحة والمروءة والندى *** في قبة ضُربت على ابن الحشرِ

المحاضرة الأخيرة

أساليب علم المعاني

أساليب علم المعاني : تعريف

► مفهوم المعاني:

علم المعاني: وهو أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة: المعاني والبيان والبديع. وقد كانت البلاغة العربية في أول الأمر وحدة شاملة، لمباحث هذه العلوم بلا تحديد ولا تمييز، وكتب المتقدمين من علماء العربية خير شاهد على ذلك؛ ففيها تتجاور علوم البلاغة ويختلط بعضها ببعض من غير فصل. وشيئا فشيئا أخذ المشتغلون بالبلاغة ينحون بها منى التخصص والاستقلال.

ولما جاء عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري وضع نظرية علم المعاني في كتابه " دلائل الإعجاز"، ونظرية علم البيان في كتابه " أسرار البلاغة"، وكان عبد الله ابن المعتز قد وضع قبله أساس علم البديع في كتابه " البديع". وقد عرف السكاكي علم المعاني بقوله: " إنه تتبع خواص تراكيب الكلم في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره."

ويمكن حصر موضوعات علم المعاني على التالي:

- الخبر: أنواعه وأضرابه وأغراضه الأصلية والمقامية؛
- والإنشاء: أنواعه وأغراضه الأصلية والمقامية؛
- أحوال المسند إليه والمسند، من حيث الحذف والذكر، والتنكير والتعريف، والتقديم والتأخير، والتخصيص والمقتضيات البلاغية لذلك؛
- الفعل ومتعلقاته،
- الفصل والوصل؛
- الإيجاز والإطناب؛
- القصر، أنواعه، وطرقه

أولا: الخبر والإنشاء

يعد مبحث الخبر والإنشاء من أهم المباحث عند البلاغيين .

1 (الخبر:

يقول ابن فارس في تعريف الخبر: « أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام. تقول: أخبرته أخبره، والخبر العلم.

وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديقه أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمرا في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم، نحو: قام زيد وقائم زيد،» كتاب الصاحب في فقه اللغة لابن فارس \ 179.

والخبر عند البلاغيين ما يصح أن يقال لقائله أنه صادق أو كاذب. فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا .

ولذا قيل في تعريفه: الخبر كل كلام يحتمل الصدق والكذب.

أنواع الخبر:

والخبر عند البلاغيين قد يأتي مثبتا أو منفيا، كما قد يأتي ابتدائيا أو طلبيا أو إنكاريا ، حسب من يلقي إليه الخبر.

► فإن كان جاهلا بالخبر ألقى إليه ابتدائيا، مثل قولنا:

1 - قديم خالد من السفر. ويسمى: خبرا ابتدائيا

► وإن كان مترددا في قبول الخبر ، ألقى إليه مؤكدا بمؤكد واحد، نحو:

2 - قد قديم خالد من السفر. ويسمى : خبرا طلبيا

► أما إن كان منكرا للخبر جاحدا له ، فيلقى إليه مؤكدا بمؤكدين اثنين، نحو:

3 - لقد قديم خالد من السفر. ويسمى خبرا إنكاريا.

ملاحظة هامة:

قد يتم ، لأغراض بلاغية، مخاطبة المنكر للخبر مخاطبة المتردد أو الجاهل للخبر ، كما قد ينزل المخاطب الجاهل للخبر منزلة المنكر أو المتردد الشاك ، وهكذا

أغراض الخبر

الأصل في الخبر عند البلاغيين أن يلقى لأحد غرضين :

(1) إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة، ويسمى ذلك الحكم: فائدة الخبر.

(2) إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم، ويسمى ذلك : لازم الفائدة

ومن أمثله:

« إنك لتكظم الغيظ، وتحلم عند الغضب، وتعفو عند المقدرة»

- قال الشاعر: وتغتابي في كل نادٍ تحله \\\ وتزعمُ أني لستُ كفُنا لمثلِكا

- ومن تلك الأمثلة يستفاد أن الخبر لا زم الفائدة يأتي في مواضع المدح والافتخار والعتاب واللوم وغيرها.

خروج الخبر عن مقتضى الظاهر (أو الأغراض المقامية للخبر)

تلك أغراض الخبر عند البلاغيين ، لكن الخبر عندهم قد يأتي لا على مقتضى الظاهر، فيفيد بمعونة قرائن الأحوال أغراضا مقامية أخرى.

ومن الأغراض التي يخرج إليها الخبر :

■ إظهار الضعف :

- (رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)

- قال الشاعر : إن الثمانين وبلغتها \\\ قد أحوجتُ سمعي إلى ترجمان

■ إظهار التحسر على شيء محبوب:

- كقول أبي فراس لما سمع أمه وهو في الأسر:

عليلةٌ بالشام منفردة ** باتَ بأيدي العدا معلِّها

تسألُ عنا الركبان جاهدةً ** بأدمعٍ ما تكاد تمهلها !

■ الحث على السعي والجد كقول شوقي:

وما نيل المطالب بالتمني ** ولكنْ تؤخذُ الدنيا غلابا

وما استعصى على قومٍ منالٌ ** إذا الإقدام كان لهم ركابا

■ ومن أغراضه كذلك المدح والتعظيم والافتخار والدعاء والأمر والنهي، والوعد والوعيد....

والمعاني التي يحتملها الخبر ويدل عليها لا حصر لها لأنها مرتبطة بالمقام التخاطبي .

الخبر وأغراضه وأهمية ذلك في فهم وتحليل الخطاب

إن الغرض من التذكير بالخبر وأغراضه أن ندرك وظائفه في تحليل الخطاب. فإن للخبر ولأغراضه قيمة وأهمية في فهم وتحليل الخطاب مهما كان نوع ذلك الخطاب. فالخطاب، أي خطاب، يتكون من خبر وإنشاء، وقد يكون أحدهما أكثر ورودا من الآخر. ولذلك دلالة، كما أن كل خطاب يتميز بأنواع معينة من الأساليب، فالخطاب الحجاجي مثلا يستدعي الخبر المؤكد والمنفي والشرطي والحصري وغير ذلك.

فإذا أخذنا الخطاب الشعري مثلا للخطاب يمكن أن نقف عند النصوص الآتية :

المعاني المقامية للخبر (تطبيق)

1. الدعاء :

من المعاني التي يكثر خروج الخبر إليها الدعاء، كما في قول أبي الغول الطهوي:

فدث نفسي وما ملكت يميني *** فوارس صدقوا فيهم ظنوني

فقول الشاعر لفظه الخبر، وكأنه يخبر بما أنجزه في الماضي، إلا أنه لا يرمي إلى ذلك، وإنما غرضه الدعاء على نفسه وما ملكت يمينه بأن يكون فداء لفوارس أبلوا بلاء حسنا في الحرب. فالدعاء إذن من أغراض الخبر المقامية. ويكثر ذلك في كلامنا عندما نقول مثلا: قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - ...كان أبي - رحمه الله - فالعبارتان (صلى الله عليه وسلم و "رحمه الله ") تفيدان الدعاء رغم أن الصيغة خبرية. وهذا كذلك ما حصل في قول الحماسي :

إن يحسدوني فإني غير لائهم ** قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم ** ومات أكثرنا غيظا بما يجد

ف " دام لي ولهم..." و " ومات أكثرنا" ، رغم أن ظاهر اللفظ فيهما الخبر، فإنهما أفادتاً ؛ فالشاعر يدعو لنفسه بأن يدوم له ما به، ويدعو على حساده بالموت غيظا.

2. اليمين :

اليمين من المعاني المقامية التي يكثر خروج الخبر إليها عندما يستعمل استعمالا مجازيا، وقد أفاد ذلك قول الأثر النخعي :

. بَقِيْتُ وفري وانحرفت عن العلا ** وَلَقِيتُ أضيا في بَوْجِه عَبُوسِ

. إن لم أَشُنَّ على ابن حرب غارةً ** لم تخلُ يوما من نهَابِ نفوسِ

فالخبر في هذين البيتين خرج عن ظاهر معناه مرتين، لأنه أفاد الدعاء أولا ثم تم خرق معنى الدعاء ليبدل على القسم. وهذا يبين أن المعنى المقامي، بدوره، قد يتم خرقه والانتقال منه لمعنى مقامي آخر. وهذا ما حصل كذلك في قول معدان بن جواس الكندي:

إن كان ما بُلِّغَتِ عني فلامني ** صديقي وسَلَّتْ من يدي الأناملُ

وكفنتُ وحدي مُنذرا بردائه ** وصادفَ حَوطا من أعادي قاتلُ

فالبيت لفظه الخبر، والمعنى الدعاء والقسم. كما لو قلت إن كان ما بلغك عني صحيحا، فليلمي أصدقائي ولتشل أنا ملي...، ومثله كثير في التعبير العامي، (إن كنت أنا من فعل هذا ، فالله يعطيني كذا وكذا...)

من أغراض الخبر

3. التفجع والتحسر:

من المعاني المقامية التي قد يستلزمها الأسلوب الخبري، التفجع والتحسر من ذلك قول الحارث بن وعة الزهري:

قومي هم قتلوا أميم أخي ** فإذا رميت يصيبني سهمي
فلئن عفوت لأعفو جلااً ** ولئن سطوت لأوهن عظمي
لا تأمنن قومًا ظلمتهم ** وبدأتهم بالشتم والرغم

فقد يكون المراد من الخبر، ليس مجرد الإخبار، لأن الخبر معلوم معروف، وإنما التحسر والتفجع؛ فالشاعر في هذه الأبيات لا يخبر بل يتحسر على فقد أخيه، ويتفجع على هذا المصاب، وقد زاد من ألمه وحسرتة أن الذين قتلوه هم قومه وعشيرته، فإن انتقم منهم ضعفت شوكته...

إن القارئ لهذه الأبيات إذا فاته أن الأسلوب الخبري قد يراد به معاني مقامية أخرى، تساعد في تحديدها قرائن سياقية وحالية، فلن يوفق في تقديم قراءة سليمة. لأنه بتمسكه بالدلالة الحرفية لا يظهر له إلا الإخبار بما أصاب الشاعر من قومه، لكن الشاعر هنا لا يخبر أميمة بما حصل له، فهي تعلم ذلك ولن يضيف جديدا بإخبارها، إنما قصده التعبير عن الألم الذي يعتصر قلبه أمام الفاجعة الكبرى التي حلت به، فأن يقتل أخوه، ومن طرف قومه، شيء فظيع، فهو لا يطيق الصبر على فقد الأخ، ولا يجرؤ على أخذ الثأر لأن ذلك، إن حصل، سيضعف شوكته. إنها حال حري بها أن تحمل صاحبها على التحسر والتفجع لا مجرد الإخبار.

2- الإنشاء في البلاغة العربية

أقسامه وأغراضه:

الإنشاء عند البلاغيين « كلام لا يحتمل الصدق ولا الكذب ». وقد قسموه إلى قسمين:

1 – إنشاء طلبي

2 – إنشاء غير طلبي

□ الإنشاء الطلبي هو كل إنشاء يفترض مطلوبا وقت الطلب، ويشمل عندهم: النداء – الاستفهام – الأمر – النهي – التمني.

□ الإنشاء غير الطلبي: كل إنشاء لا يفترض مطلوبا وقت الطلب. ويشمل عندهم: التعجب – الرجاء – القسم – المدح والذم – صيغ العقود.

صيغ الأساليب الإنشائية وأدواتها

اهتم البلاغيون بصيغ الأساليب الإنشائية وأدواتها التي تتحقق بها، كما اهتموا بدلالات تلك الصيغ والأدوات. والنحاة بدورهم توقفوا عند هذه الأدوات والصيغ للنظر في طبيعتها وطريقة صياغتها. لذلك فالأدوات والصيغ لها أبعاد صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية بل وتداولية.

فمثلا أدوات النداء تتنوع حسب المقام التخاطبي، وحسب موقع المنادى من المنادي. كما أنها تتنوع بين الحروف والأفعال، وقد تكون محذوفة مقدرة، ولها تنغيم صوتي يختلف من مقام إلى آخر، بل للمنادى بها وظائف تركيبية تختلف من منادى إلى آخر:

فقد يكون المنادى مبنيا، وقد يكون معربا، قد يكون مضافا أو شبيها بالمضاف، قد يكون معرفة أو نكرة... بعبارة أخرى، فهذه الأساليب تفتح آفاقا للبحث من منظورات متعددة.

أساليب الإنشاء الطلبي

أشرنا إلى أن الإنشاء الطلبي هو كل إنشاء يفترض مطلوبا وقت الطلب، ويشمل عندهم: النداء – الاستفهام – الأمر – النهي – التمني.

ففي النداء طلب الإقبال والانتباه؛ وفي الاستفهام طلب معلومة يجهلها المستفهم ويفترض امتلاك المستفهم لها. وفي الأمر طلب تنفيذ الأمر على جهة استعلاء. وفي النهي طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء؛ وفي التمني طلب أمر مستحيل أو مستبعد التحقق.

لذلك إذا تم إجراء هذه الأساليب وفق هذه الشروط كانت لها معانٍ حرفية، وإذا تم خرق أحد هذه الشروط الأسلوب الإنشائي إلى إفادة معنى آخر يحدد بمعونة قرائن الأحوال.

دلالات الأساليب الإنشائية

يقول السكاكي: "واعلم أن الطلب كثيرا ما يخرج لا على مقتضى الظاهر، وكذلك الخبر، فيذكر أحدهما في موضع الآخر، لا يصار إلى ذلك إلا لتوخي نكت قلما يظن لها من لا يرجع إلى دربة في نوعنا هذا..."

نبه السكاكي في هذا النص إلى خروج الخبر والإنشاء عن أصل وضعهما لأغراض بلاغية، وأن أحدهما قد يستعمل مكان الآخر، أي أن الأسلوب الخبري قد يفيد معنى إنشائيا كالنداء والتعجب...

والأسلوب الإنشائي ربما دل على الخبر كإفادة الاستفهام للنفي والتقرير... وذلك لأغراض بلاغية. مفتاح العلوم ص: 323
وأما الأساليب الإنشائية فهي أكثر خروجاً لا على مقتضى الظاهر. وقد خصها السكاكي ببحث مفصل تميز به عن غيره من البلاغيين. فعبد القاهر الجرجاني على سبيل المثال، اهتم أساساً بالاستفهام ومتى يكون للتقرير ومتى يفيد الإنكار ومتى يكون ذلك للفعل أو للفاعل أو للمفعول، بحسب ما تم تقديمه. وجاء ذلك عنده ضمن بحث التقديم والتأخير. أما السكاكي فبين بتفصيل ما قد تفيد الأساليب الطلبية من معانٍ مقامية. فقد قسم الأساليب الإنشائية الطلبية إلى نوعين:

1 - نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول وهو التمني.

2 - ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول ويشمل باقي الأساليب الإنشائية الطلبية.

ثم قال: "ومتى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل تولد منها ما ناسب المقام كما إذا قلت لمن همك هم: ليتك تحدثني، امتنع إجراء التمني، والحال ما ذكره، على أصله فتطلب الحديث من صاحبك غير مطموع في حصوله وولد بمعونة قرينة الحال معنى السؤال..."

وهكذا فالاستفهام عنده يتولد عنه، بمعونة قرائن الأحوال التعجب والاستخفاف والتحقيق والإنكار والتقرير والتمني والتهديد... والأمر يفيد الدعاء والالتماس والندب والإباحة والتهديد...

ومن أساليب علم المعاني التي لها أهمية في البلاغة العربية وفي التواصل وفي فهم الخطاب وتحليله نذكر على سبيل الاختصار:

التقديم والتأخير والمناسبة المقامية:

ولعل أبرز المباحث البلاغية التي اتخذت عند بعض البلاغيين العرب القدامى بعدا تحليليا خطابيا وتداوليا مبحث التقديم والتأخير، وقد أجاد في معالجته إمام البلاغيين العرب عبد القاهر الجرجاني¹⁸، الذي توقف عند التقديم مع همزة الاستفهام، ومتى يحصل، وما هي أغراضه المقامية، وعلاقة ذلك بالمقام التخاطبي وبمقاصد المتكلم. كما بين متى يتم تقديم الفعل، ومتى يقدم الفاعل، ومتى يقدم المفعول، مستشهدا بنصوص وشواهد، ومحللا لتلك النصوص تحليلًا تداوليًا.

¹⁸ - دلائل الإعجاز 106 وما بعدها.

فقد توقف عبد القاهر الجرجاني وقفة طويلة مع حالات التقديم والتأخير وحاول تفسيرها بالعودة إلى المقام التخاطبي، ومن تلك الحالات تقديم النكرة على الفعل في الاستفهام والخبر، وقد حلل نماذج من هذا التقديم وربطه بالمقتضيات المقامية، ويمكن اختصار كلامه في الجدول الآتي:

المثال	الطبقة المقامية المناسبة له حسب الجرجاني
(1) أجاءك رجل؟	- السؤال هنا عن فعل المجيء هل حدث، ولا يجوز هنا تقديم الاسم.
(2) أرجل جاءك؟	- السؤال عن جنس من جاء أهو رجل أم امرأة.
(3) أرجل طويل جاءك؟	- السؤال عن وصف الرجل أطويل أم قصير.
(4) رجلٌ جاءني.	- القصد جنس من جاء.
(5) جاءني رجلٌ.	- القصد فعل المجيء.
(6) رجل قصير جاءني.	- القصد صفة الرجل.
(7) ما أتاني إلا رجل.	- لا يقال إلا عندما يتوهم السامع أن الذي جاء امرأة.
(8) ما جاءني إلا زيد.	- يقال عندما تريد قصر المجيء على زيد دون غيره لما يتوهم السامع أن غير زيد أتاك.

الإيجاز والاطناب وأهميته في تحليل الخطاب:

من أبرز مباحث علم المعاني التي لها صلة وثيقة بالخطاب والمقام مبحث الإيجاز والاطناب. فقد بين البلاغيون أن من بلاغة المتكلم مراعاة ما يقتضيه المقام من إيجاز أو اطناب. فالبلاغة هي الإيجاز في مواضع الإيجاز والاطناب في مواضع الاطناب. ويكتسي هذا الأسلوب أهمية في تحليل الخطاب.

- الإيجاز:

أشاد العرب بالإيجاز في القول منذ العصر الجاهلي. وقد تطور مفهوم الإيجاز في العصور الإسلامية الموالية وصار ينظر إليه على أنه مطلب بلاغي، ففي العصر العباسي، قال الجاحظ في تعريفه: «الإيجاز هو الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة». كتاب الحيوان 3\86. ثم صار الإيجاز عنده «أداء حاجة المعنى سواء أكان ذلك الأداء في ألفاظ قليلة أم كثيرة»، فقد يطول الكلام، وهو في رأيه، إيجاز لأنه وقف عند منتهى البغية ولم يجاوز مقدار الحاجة. كتاب الحيوان 6\7. وحكي ابن رشيق القيرواني تعريف الرماني للإيجاز وتقسيمه: «الإيجاز هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف».

أما عن تقسيمه فقال ابن رشيق: «الإيجاز عند الرماني على ضربين: مطابق لفظه لمعناه لا يزيد عنه ولا ينقص عنه، كقولك: «سل أهل القرية»، وضرب آخر يسمونه «الاكتفاء»، وفيه يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي على الذهاب، كقولهم: «لو رأيت عليا بين الصفين»، أي «لرأيت أمرا عظيما».

وإذا تتبعنا «الإيجاز» عند البلاغيين وجدنا مفهومه واحدا، وإن اختلفت صيغ التعبير عنه، وهو: «جمع المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة مع الإبانة والإفصاح». والإيجاز عند البلاغيين ضربان:

1- إيجاز قصر: وهو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني. وقيل: هو تضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف. وهذا النوع عند ابن الأثير هو أعلى طبقات الإيجاز مكانا وأعوزها إمكانا.

ومما ورد من إيجاز القصر في القرآن الكريم: قوله تعالى: (ولكم في القصص حياة)، فإن قوله تعالى: (القصص حياة) لا يمكن التعبير عنه إلا بالألفاظ الكثيرة. ومن أمثلته كذلك في القرآن الكريم: (ألا له الخلق والأمر)، كلمتان استوعبتا جميع الأشياء على غاية الاستقصاء. وقوله تعالى: (والفلك تجري في البحر بما ينفع الناس)، جميع أنواع التجارات، وصنوف المرافق التي لا يبلغها العد والإحصاء. وقوله تعالى: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)، فجمع مكارم الأخلاق بأسره.... وقوله تعالى: (وقيل يا أرض أبلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقُضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين).

ومن صور الإيجاز في الحديث النبوي: قوله صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحرا أو إن بعض البيان سحرٌ » صحيح البخاري

« قل: آمنت بالله ثم استقم » صحيح مسلم

« اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلقٍ حسن »

« من غشَّ فليس منا. » صحيح الترمذي

« المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه. » البخاري

إيجاز حذف

وهو القسم الثاني للإيجاز، ويعرفه البلاغيون بقولهم: «هو ما يحذف منه كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعيّن المحذوف. ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه. ومن مواضع إيجاز الحذف:

حذف الحرف: (قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين)، فالمراد: لا تفتأ: أي: لا تزال.

حذف المضاف: (واسأل القرية التي كنا فيها)

حذف الموصوف، (وآتينا الناقة مبصرة) أي: آية مبصرة. (من عمل صالحا، من ذكر أو أنثى، وهو مؤمن، فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) النحل

حذف الصفة، (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) الكهف، أي: كان يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا.

حذف القسم أو جوابه، وهو كثير في القرآن الكريم وفي كلام العرب؛

حذف لو وشرطها، أو جوابها فقط، وذلك من ألطف ضروب الإيجاز وأحسنها.

ومن صور إيجاز الحذف، حذف جملة أو أكثر، ومن أمثلته قوله تعالى في حكاية موسى عليه السلام مع ابنتي شعيب: (فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير، فجاءته إحدهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا).

- الاطناب

أشار أبو هلال العسكري إلى الاطناب في معرض كلامه عن الحاجة إلى الإيجاز والاطناب فقال: « والقول القصْد أن الإيجاز والاطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكل نوع منه، ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه

كالحاجة إلى الاطناب في مكانه. فمن أزال التديير في ذلك عن جهته، واستعمل الاطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الاطناب أخطأ.» كتاب الصناعتين 190.

والاطناب عند البلاغيين « الاطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة» ابن الأثير. وهذا الحد هو الذي يميزه، عنده، عن التطويل، إذ التطويل: « هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة.» ، كما يميزه عن التكرير الذي هو: «دلالة اللفظ على المعنى مكررا، كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع، فإن المعنى مردد واللفظ واحد.» وكل تكرير يأتي لفائدة، فهو عنده، جزء من الاطناب وه أخص منه.

ويأتي الاطناب في الكلام على أنواع مختلفة لأغراض بلاغية منها:

الإيضاح – ذكر الخاص بعد العام – ذكر العام بعد الخاص – التكرير لداع – الإيغال – الاحتراس – الاعتراض – التذييل -

المساواة

والمساواة ، كما قال أبو هلال العسكري، هي المذهب المتوسط بين الإيجاز والاطناب. وهي إحدى الطرق الثلاث التي يلجأ إليها البليغ للتعبير عن كل ما يجول بنفسه من خواطر وأفكار. فالبليغ على حسب مقتضيات الأحوال والمقامات قد يسلك في أداء معانيه تارة طريق الإيجاز، وتارة طريق الاطناب، وتارة طريقا وسطا بين بين ، هو طريق المساواة.

وعموما فإن علم المعاني في البلاغة العربية من أهم العلوم وأغناها بالأساليب ولذلك لا يمكن الاستغناء عن مباحثه لكل باحث ينشد التمكن من اللغة العربية وعلومها، أو يريد فهم النصوص وقراءتها وتحليلها. وقد تم توضيح هذه المباحث في دراسات ومراجع حديثة، ينبغي الرجوع إليها والاستعانة بها، لأن هذه المحاضرات لا تكفي للتعمق في تفاصيل هذا العلم ولا للإحاطة حتى بهوامشه.

أساليب علم البديع

يشكل علم البديع القسم الثالث من أقسام البلاغة العربية. البديع كما يقول الخطيب القزويني " علم تعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة". ويعرفه ابن خلدون بأنه هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التتميق: إما بسجع يفصله، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصيع يقطع أوزانه، أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه، لاشتراك اللفظ بينهما، أو طباق بالتقابل بين الأضداد وأمثال ذلك".

وقد كان هذا المفهوم عاما يطلق على فنون البديع وغيرها، وأول من ألف فيه عبد الله بن المعتز كما يدل على ذلك كتابه: "البديع"، والباحث في الكتاب يجده قد تضمن مباحث في علم البيان كالاستعارة والكناية والتعريض والتشبيه، ومباحث في علم البديع كالتجنيس والطباق والمقابلة. وهذا يدل على أن مصطلح البديع في عصره لم يكن يراد به ما قصده المتأخرون. وظل هذا الاتساع في المفهوم إلى القرنين الرابع والخامس الهجريين.

فلما جاء السكاكي وجاء عصر الشروح والتلخيصات تحددت فنون البديع وتشعبت. فقد كان السكاكي في المفتاح أول من أضاف قسما ثالثا إلى علوم البلاغة سماه: علم البديع. يقول: "وإذ تقرر، أن البلاغة بمرجعيتها وأن الفصاحة بنوعها، مما يكسو الكلام حُلَّةَ التزيين، ويرقيه أعلى درجات التحسين، فهنا وجوه مخصوصة، كثيرا ما يصار إليها، لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأعراف منها، وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ".

وقد جعل السكاكي من القسم الأول أي البديع المعنوي: المطابقة، والمشكلة، مراعاة النظير، واللف والنشر، والجمع، والتفريق، والتقسيم، والجمع مع التفريق، والإيهام، والاعتراض، والالتفات، والاستتباع. وجعل من القسم الثاني، أي البديع اللفظي، التجنيس والسجع والترصيع.¹⁹

لكن هذا الفن دخله التكلف والتعقيد وصار عند بعض الشعراء والأدباء في عصور الانحطاط مجالا للمنافسة والإفراط، فخرجوا به عن القصد وصار مظهرا من مظاهر ضعف الأدب وتخلفه. والذي عليه البلاغيون القصد في استعماله ومجارة الطبع والسليقة في وروده دون تكلف ولا تصنع.

فنون البديع

والمحسنات البديعية ضربان:

- (1) محسنات معنوية ترجع إلى تحسين المعنى أولا؛
- (2) محسنات لفظية يرجع إلى تحسين اللفظ أصلا، وإن تتبع ذلك تحسين المعنى من المحسنات البديعية المعنوية:

أولا: المطابقة : ويقال لها أيضا: التطبيق، والطباق، والتضاد.

❖ وهي في اصطلاح رجال البديع: الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعري.

❖ والمطابقة ثلاثة أنواع:

- مطابقة الإيجاب : (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات)
- مطابقة السلب: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)
- إيهام التضاد: لا تعجبي يا سلم من رجل = ضحك المشيب برأسه فبكي

¹⁹ - السكاكي، مفتاح العلوم 532 وما بعدها.

ثانيا : المقابلة: عرفها أبو هلال العسكري : « هي إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على وجه الموافقة أو المخالفة.»

❖ وأكثر ما تأتي المقابلة في الأضداد ، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة. قال تعالى: (إن الابرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم)

ثالثا: المبالغة:

وأول من عرفها عبد الله ابن المعتز، وقد عدها من أساليب البديع وعرفها بأنها: « الإفراط في الصفة». كقول الشاعر: تبكي السموات إذا ما دعا ** وتستعيد الأرض من سجدته وقال الشاعر: ونكرم جارنا ما دام فينا ** ونتبعه الكرامة حيث كانا وقد فصل البلاغيون في المبالغة وأنواعها، وعن المقبول منها والمرفوض فتحدثوا عن الغلو والإغراق والإيغال.

ومن المحسنات البديعية اللفظية وأهمها:

الجناس - السجع - الموازنة ...